المحتدم بينه وبين الجماهير الفلسطينية في الضفة والقطاع. فبعد شهور من توريط الجيش الاسرائيلي في مهام مواجهة الانتفاضة الشعبية، بدأت مردودات هذا التورط تنعكس على مؤسسة الامن الاسرائيلية بشكل مؤثر. ومع ان الحرب لم تضع اوزارها بعد، ولم تتبلور النتائج النهائية لها، الاّ ان رصيد المنجزات التي حققتها الانتفاضة الفلسطينية على الصعيد العسكري، حتى الآن، تبرز قدرة الجماهير المنتفضة على احداث تأثيرات عميقة في مؤسسة الامن الاسرائيلية، يمكن رصد جوانبها في طبيعة الانتشار الجغرافي الذي فرضته الانتفاضة على الجيش الاسرائيلي، وفي تدني استعداده القتالي، وهبوط الروح المعنوية لافراده، وتغيّر نظرة المجتمع الاسرائيلي الى مؤسسة الامن بشكل عام.

١ ـ الانتشار الجغرافي للجيش الاسرائيلي

كان الانتشار الجغرافي للجيش الاسرائيلي ـ قبل نشوب الانتفاضة ـ محكوماً باعتبارات الصراع الخارجي في مواجهة احتمالات الحرب المقبلة، ولم يكن هناك داع لتواجد عسكري مكثف في الضفة وقطاع غزة. وعقب نشوب الانتفاضة الفلسطينية، أصبحت السيطرة على المناطق المحتلة تتطلب انتشاراً جديداً ودائماً للجيش الاسرائيلي على امتداد الضفة والقطاع، على الرغم ممّا يقتضيه هذا الانتشار من تغيير في خطة الانتشار العام للجيش الاسرائيلي، وما يستلزمه من امكانات، مادية وبشرية. كتب زئيف شيف: «سيكون من الواجب على الجيش الاسرائيلي ان ينتشر في المنطقة من جديد، سواء في وقت الهدوء النسبي أو في حالة الحرب أيضاً. وستكون هناك حاجة الى تحويل المزيد من القوات الى الداخل، ولانجاز عملية تأمين البنية الاساسية العسكرية بطريقة أخرى. كما ستتخذ العناية بالامن الجاري في المستقبل طابعاً آخر، يختلف عمّا كان عليه في الماضي، ليس على الحدود فقط، بل، بشكل أكبر، في مواجهة سكان معادين»[٤١]. وبالنظر الى زيادة حجم القوات الاسرائيلية، التي ستقيم في الضفة والقطاع بصورة دائمة، فقد تقرر في القيادة العامة للجيش، في آذار (مارس) الماضي، «تغيير بنية القيادة العسكرية في الضفة، ورفع درجة القيادة، بحيث يكون قائد القوات برتبة عميد بدلاً من رتبة عقيد، كما جرى العمل به سابقاً. كما تمّ تقسيم الضفة الى ثلاث مناطق عسكرية، واعتماد تنظيم جديد للقوات الاسرائيلية في الضفة الغربية»[٤٢]. وبالطبع، فان الانتشار الدائم للجيش الاسرائيلي يستوجب انتشار بنية تحتية للخدمات، مع ما يقتضيه ذلك من امكانات، مادية وبشرية. ففي نيسان (ابريل) الماضي، أعلن مصدر عسكري كبير في الجيش الاسرائيلي: «ان توظيفات جيش الدفاع في المناطق [المحتلة] كانت، حتى الآن، في اقامة أرضية مؤقتة، مثل نصب الخيام للوحدات التي انتشرت بأعداد كبيرة في الضفة والقطاع. ولكن، حالياً، وفي ضوء الافتراض ان تواجد جيش الدفاع سيستمر لشهور طويلة، فان هناك ضرورة لاقامة خطوط كهرباء ومياه ومباني خدمات ومنشآت دائمة لاستخدام القوات»[٤٣]. كذلك، فان خطة الانتشار الدائم تتطلب تحسين شبكة الطرق الحالية في المناطق المحتلة، وشق المزيد منها لمتطلبات حركة الجيش والمستوطنين ضمن المعطيات الجديدة؛ كما تتطلب تأمين الحماية العسكرية على امتداد هذه الطرق. وقد أعلنت مصادر عسكرية اسرائيلية: «ان الجيش قام باتخاذ خطوات عدة لتحسين الوضع الامني على طول طرق الحركة في الضفة الغربية، حيث توجد على كل طريق سيارة عسكرية تقوم بفحص الطريق وفتحه للحركة. كما عزز الجيش تواجده في الاماكن التي حدثت فيها اضطرابات، وتقوم طائرة مروحية بالتحليق فوق محاور الحركة. ومن جهة أخرى، فقد صادق وزير الدفاع، رابين، على تعبيد طريق من أجل تفادي المرور في مدينة قلقيلية، حيث يجد الجيش صعوبة في حماية الطريق التي تصل المستوطنات اليهودية في السامرة بمنطقة هشارون وكفار سابا»[٤٤]. ويبدو ان الانتشار العسكري الاسرائيلي في